الجهاد القانوني ومقاومة الشر

❁✝❁

+ «لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ» (عب ١٢: ٤).

تمهيد:

يُنبِّهنا الروح القدس على فم بولس الرسول، إلى أهمية وضرورة الجهاد القانوني في الحياة الروحية؛ حيث يكتب الرسول مُخاطبًا تلميذه تيموثاوس بالقول: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُجَاهِدُ، لَا يُكَلَّلُ إِنْ لَمْ يُجَاهِدْ قَانُونِيًّا» (٢تي ٢: ٥). وغنيٌّ عن البيان أن نذكر أنَّ معنى "الجهاد القانوني" ينصرف إلى كونه جهادًا بحسب الأصول القانونية والروحية الإلهيَّة المُتعارف عليها[١]. ثم يستطرد الرسول – في أكثر من مرَّةٍ في رسائله – مُشيرًا وشارحًا نمط هذا الجهاد القانوني في سلوكه ومُمارساته في حياته؛ فيُسجِّل لنا بالروح قوله: «قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ ...» (٢تي ٤: ٧)، ثم يشرح لنا صورة هذا السلوك الروحي بقوله لتلميذه تيموثاوس: «كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلاَمِ، فِي التَّصَرُّفِ، فِي الْمَحَبَّةِ، فِي الرُّوحِ، فِي الإِيمَانِ، فِي الطَّهَارَةِ ... لاَحِظْ نَفْسَكَ وَالتَّعْلِيمَ وَدَاوِمْ عَلَى ذلِكَ...» (١تي ٤: ١٢، ١٦). ثم أخيرًا، يستحثُّنا الرسول بولس في رسالته إلى العبرانيين على النهوض للجهاد كجنودٍ صالحين للربِّ يسوع بقوله: «لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ» (عب ١٢: ٤).

لكننا من جهةٍ أخرى، نتقابل في الكتاب المقدَّس مع آياتٍ ووصايا وتعاليم أخري تدعونا وتحُضُّنا على السلوك بوداعةٍ ولطف، وتُحذِّرنا من مقابلة الشرِّ بالشرِّ أو بالعنف؛ بل بالخير والاحتمال والشكر! وهناك الكثير من الوصايا التي توصي بالاحتمال والصبر، ووجوب إعطاء الحُكْم للحاكم العادل، وعدم مكافأة الظالمين عن ظلمهم. ومن أمثلة هذه

---

(١) انظر: "الجهاد القانوني": مقال للمُتنيِّح نيافة أنبا إبيفانيوس أسقف ورئيس دير القدِّيس أنبا مقار؛ كتاب: "أنبا إبيفانيوس وجه تجلَّى فيه الحب"، ص ٣٢٩.

الوصايا: «لَا تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا» (مت ٥: ٣٩)، «لَا تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ ...» (رو ١٢: ١٧)، وأيضًا قول الرسول بطرس عن الرب يسوع: «الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ ...» (١بط ٢: ٢٣). فتُرى هل هناك تعارضٌ بين وصايا الجهاد الروحي والقانوني وضرورة مقاومة الشر، مع الوصايا التي تدعونا للوداعة والغفران والصبر والتسامُح التي يوصِينا بها الرب يسوع في الإنجيل؟ هذا هو موضوع حديثنا.

مفهوم الجهاد الروحي للإنسان المسيحي:

يُمثِّل الجهاد الروحي في الحياة المسيحية، أحد جناحَي النصرة والخلاص ونَيْل إكليل الحياة؛ فهو التعبير العملي عن الوجه الإنساني المطلوب في معادلة الخلاص. حيث تُعدُّ الإرادة الإنسانية والجهد البشري الصادق والأمين في السعي نحو تحقيق غاية الخلاص – بالجهاد حتى الدم من أجل نَيْل إكليل الحياة – هو الجناح الأول لمُعادلة الخلاص. بينما تُمثِّل النعمة المؤازرة لجهاد الإنسان، الجناح الثاني والفاعل الرئيسي لإتمام هذا الخلاص المنشود، والتي بها يتمُّ تفعيل هذا الجهاد، حيث نعمة الله المُخلِّصة هي التي تُكمِّل وتختم بالنصرة على جهاد الإنسان؛ كما سمع بولس الرسول من الربِّ هذا القول: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ» (٢كو ١٢: ٩). وفي هذا المعنى يقول القديس مقاريوس الكبير: [فمن الضروري بمكان، أن يُفلِّح الإنسان – باختياره – أرض قلبه ويُكابد الأتعاب، لأن الله يطلب تعب الإنسان وكدَّه وعمله؛ إلَّا أنه ما لم تلُح من فوق سحابة سماويَّة وغيوث النعمة، فهيهات أن ينتفع الفلاح المكدود شيئًا][٢].

وبكلماتٍ بسيطة وعميقة يختصر لنا القديس بولس الرسول بالروح، معنى الجهاد الروحي المسيحي في رسالته الأولى لأهل كورنثوس، حيث يقول: «كُلُّ مَنْ يُجَاهِدُ يَضْبُطُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (١كو ٩: ٢٥). وهذه الكلمات تحمل في مضمونها إشارة واضحة لمعنى **التغصُّب والجهاد** (الداخلي والخارجي للنفس البشرية)، وذلك خلال سعيها لإكمال خلاصها؛ حسب قول الكتاب المقدس: «تَمِّمُوا خَلَاصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ» (في ٢: ٢)، حيث يُعدُّ التغصُّب هو أول وأهم – وربما أصعب – درجات الجهاد الروحي والقانوني للإنسان المسيحي.

---

(٢) العظات الخمسون – الأعمال الكاملة للقديس أنبا مقار، عظة ٢٦ (١٠)، ص ٤٠٩، ترجمة الراهب يونان المقاري.

ويمكننا إيجاز أهم سِمَات الجهاد الروحي المسيحي في النقاط التالية:

١- جهاد قانوني: «وَلكِنْ نَحْنُ لَا نَفْتَخِرُ إِلَى مَا لَا يُقَاسُ بَلْ حَسَبَ قِيَاسِ الْقَانُونِ الَّذِي قَسَمَهُ لَنَا اللهُ» (٢كو ١٠: ١٣):

الجهاد القانوني المسيحي، هو ذاك الجهاد المبني على **قواعد الإيمان** الصحيح بالربِّ يسوع، صخرة إيماننا ومُكمِّله: «فَقَاوِمُوهُ (أي إبليس) رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ» (١بط ٥: ٩)، وهو الجهاد الذي يستند على **وصايا الرب** وشريعته الإلهيَّة، والمُقدَّم بكلِّ اجتهادٍ وعطاءٍ بلا حدود؛ حتى إلى **درجة سَفْك الدم**، وتقديم الحياة ذاتها من أجل الشهادة لاسم إلهنا، واعترافًا برحمته علينا: «لأَنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ الْيَوْمَ كُلَّهُ» (مز ٤٤: ٢٢)، ونائلون به غايتنا **بخلاص النفوس ونَيْل إكليل الحياة** الأبديَّة الموضوع للغالبين.

كذلك فإنَّ هذا الجهاد القانوني حتى الدم، يُعدُّ **شهادة حبٍّ كاملة** لذاك الذي فدانا بدمه؛ ومن قِبَل تمسُّكنا به، نَحسِب أنفسنا كجنودٍ صالحين مؤهَّلين للحرب الروحية ومقاومة إبليس: "فاشترك في احتمال المشقَّات كجندي صالح ليسوع المسيح" (٢تي ١: ٨)، «قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ» (يع ٤: ٧). ونحن مُتمنطِّقون بكلِّ أسلحة الروح، باذلون كل طاقتنا – بالنفس والجسد والروح – سعيًا للوصول إلى الغاية التي من أجلها أدركنا المسيح، وكذلك ونحن مستأسرون كل فكر لطاعة المسيح، لكي ننال بنصرتنا به خلاصًا وأكاليل أبديَّة.

٢- جهاد غير منظور (داخلي – باطني**):** «فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمْ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا...» (كو ٣: ٥):

وهذا يعني أنَّ هذا الجهاد، هو جهاد روحي في المقام الأول؛ إذ هو مقابل أجناد الشرِّ الروحية، حسب قول الرسول بولس: «فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلَاطِينِ، مَعَ وُلَاةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ» (أف ٦: ١٢). فنحن نحارب إبليس وجنوده، والخطية والعالم وكل سلطانه. لهذا يدعونا بولس الرسول إلى اليقظة، وعدم التراخي أو الكسل، والاستعداد الدائم بالاعتراف والتوبة، وحفظ أنفسنا بلا دنسٍ من العالم؛ وذلك في جهادٍ يومي ومستمر حتى الموت. ولعلَّ من أقوى الأمور المُعضِّدة لهذا النوع من الجهاد، هو الانسكاب باتضاعٍ ومسكنة روحية دائمة أمام الله، لطلب معونته ومؤازرته لنا بالنعمة، حتى نستطيع أن نغلب

في حربنا؛ وذلك مثلما نُصلّي في طلبات الساعة التاسعة من النهار مُترَجِّين معونة الله بإماتة حواسنا الجسمانية، إذ نقول: "أَمِتْ حواسَنا الجسمانية، أيها المسيح إلهنا، ونجِّنا".

وبخصوص هذا النوع من الجهاد أيضًا، ينصح بولس الرسول تلميذه تيموثاوس **بالهروب من الشرّ**، ومن الشهوات الشبابية، ومن كلّ العثرات، فيقول بالروح له: «أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا ...» (٢تي ٢: ٢٢)، وأيضًا: «أَمَّا أَنْتَ يَا إِنْسَانَ اللهِ فَاهْرُبْ مِنْ هذَا ...» (١تي ٦: ١١). كذلك يُشجِّعنا بطرس الرسول على **الهرب من الشرّ** والفساد بقوله: «**هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ** الَّذِي فِي الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ» (٢بط ١: ٤). وجميع هذه الوصايا، وإن بَدَت لنا سلبية أو أنها نوعٌ باطني وغير منظور للجهاد؛ إلَّا أنها تُمثِّل أسلحة قويَّة وفاعلة في حربنا الروحية، وذلك بما تحمله في طيَّاتها من تغصُّبٍ وجهادٍ مع النفس، وصمودٍ وقوة إيمان في مواجهة الخطية وأفكار الشر، حتى تتحقَّق لنا النُّصرة ولو **بالهروب**! ذلك لأن الحكمة تتطلَّب مِنَّا البحث عن وسائل نجاتنا من المخاطر، إتمامًا لكلمة الوحي : «**اهْرُبْ** لِحَيَاتِكَ» (تك ١٩: ١٧)، ونداء عروس النشيد: «**اُهْرُبْ يَا حَبِيبِي،** وَكُنْ كَالظَّبْيِ أَوْ كَغُفْرِ الأَيَائِلِ عَلَى جِبَالِ الأَطْيَابِ» (نش ٨: ١٤).

٣- جهاد منظور (سلوكي – ظاهر): «... أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ» (رو ١٢:١):

يدعونا الرب يسوع إلى هذا النوع من الجهاد، من أجل مكافأة إكليل الحياة، إذ يقول لنا: «اُدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ... مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!» (مت ٧: ٤٠، ٤١)، ويقول الرب أيضًا: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا...» (مت ١٦: ٢٦). ثم يأتي القديس بولس الرسول ليؤكِّد لنا هذه الوصية بقوله: «بَلْ أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ، حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَزْتُ لِلآخَرِينَ لَا أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضًا» (اكو ٩: ٢٧). وقد وضع لنا الرب منهجًا كاملًا لنموذج هذا الجهاد بمثال سلوكه وحياته على الأرض، وكثيرًا ما أوصى وألحَّ في ذلك مرارًا، لكي نتمسك نحن بمثال سلوكه، فقد أوصانا بالصلاة والصوم، وقد مارسهما أمام تلاميذه مرَّاتٍ متعددة، حيث يذكر الكتاب المقدَّس عن الرب يسوع ما يلي: «فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا» (مت ٤: ٢)، وقوله أيضًا: «هذَا الْجِنْسُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ» (مر ٩: ٢٩). ويكتب القديس

لوقا عنه: «وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ ... قُومُوا وَصَلُّوا لِئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ» (لو ٢٢: ٤٤ – ٤٦). ثم يوصي الرب يسوع تلاميذه – ونحن – بالسهر والصلاة، حيث يقول لهم: «أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟ اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ» (مت ٢٦: ٤٠، ٤١)، ويؤكّد القديس بولس على أهمية السهر فيقول: «اِسْهَرُوا. اثْبُتُوا فِي الإِيمَانِ. كُونُوا رِجَالًا. تَقَوَّوْا. لِتَصِرْ كُلُّ أُمُورِكُمْ فِي مَحَبَّةٍ» (١كو ١٦: ١٣).

ثم يأتي دور كلمة الله، التي هي حصن وسلاح بتّار لكلِّ مَن يستعين به ويلهج ويحيا به في جهاده ضد إبليس ومحارباته؛ مثلما يقول لنا الروح: «خَبَّأْتُ كَلَامَكَ فِي قَلْبِي لِكَيْلَا أُخْطِئَ إِلَيْكَ» (مز ١١٩: ١١). كذلك يظهر لنا مدي أهمية كلمة الله في جهادنا عندما ننظر إلى مثال ما صنع الرب يسوع نفسه، حينما قام إبليس ليُجرِّبه؛ فقد أفحمه السيِّد في كلِّ مرة بردِّه المُنير والمُفحِم لمكائده، بقوله "**مكتوبٌ**" (مت ٤: ١-١٠). فكلمة الله نورٌ ودرعٌ مُنجِّي من سهام العدو المُلتهبة نارًا.

كذلك يتَّسم جهادنا ومصارعتنا الروحية الإيجابية والظاهرة، بسِمَات الصبر والمُثابرة والثبات، وذلك كما يقول المُرنِّم: «انتظر الربَّ. ليتشدَّد وليتشجَّع قلبُك، وانتظر الربَّ» (مز ٢٧: ١٤)، وأيضًا، بحسب وصية السيِّد نفسه: «بِصَبْرِكُمُ اقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ» (لو ٢١: ١٩)، وكذلك وفق ما يوصينا به الرسول بولس بقوله: «وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا» (عب ١٢: ١). كل ذلك، لأن الله ينظر إلى صبر الإنسان وتعبه، إذ يُطمئِنه بقوله بالروح، على لسان يوحنا الرائي: «أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ وَتَعَبَكَ وَصَبْرَكَ...» (رؤ ٢: ٢)، ويَدعَم الربُّ وعوده للصابرين بكلماته المُفرحة: «وَلكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ» (مت ١٠: ٢٢). ومن أجل كل هذا، يُشجِّعنا بطرس الرسول على بذل أقصى جهدنا بالتمسُّك بالصبر والثبات اللذين لهما ثمرة عظيمة لمَن يتمسَّك بهما، حيث يقول: «وَلِهذَا عَيْنِهِ – وَأَنْتُمْ بَاذِلُونَ كُلَّ اجْتِهَادٍ – قَدِّمُوا فِي إِيمَانِكُمْ فَضِيلَةً، وَفِي الْفَضِيلَةِ مَعْرِفَةً، وَفِي الْمَعْرِفَةِ تَعَفُّفًا، وَفِي التَّعَفُّفِ صَبْرًا، وَفِي الصَّبْرِ تَقْوَى، وَفِي التَّقْوَى مَوَدَّةً أَخَوِيَّةً ... لأَنَّ هذِهِ إِذَا كَانَتْ فِيكُمْ وَكَثُرَتْ، تُصَيِّرُكُمْ لَا مُتَكَاسِلِينَ وَلَا غَيْرَ مُثْمِرِينَ لِمَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢بط ١: ٥-٨).

٤- جهاد تؤازره نعمة الله: «فَتَقَوَّ أَنْتَ يَا ابْنِي بِالنِّعْمَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (٢تي ٢: ١):

يُعلن الربُّ يسوع صراحةً، أننا بدونه لن نقدر أن نفعل شيئًا؛ إذ يقول لتلاميذه:

«بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا» (يو ١٥: ٥). وبولس الرسول يقول عن النعمة المُعضِّدة لجهادنا: «فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ» (عب ٤: ٦). لذلك يلزم أنْ نُدرك أنَّ جهادنا الروحي والقانوني، إن لم يستند على نعمة الله ومعونته، فباطلًا نتعب ونسعى! وهذه النعمة والمعونة الإلهيَّة، هي التي تختم على جهادنا بختم القانونية والقبول والغَلَبة أمام الله والناس. وهذه لا يُمكن اقتناؤها إلَّا بالاتضاع والمسكنة والصلاة والانسحاق أمام الله كل حين، لأنه يُعطي نعمةً للمُتضعين المترَجِّين رحمته ومعونته؛ حيث يقول لنا بطرس الرسول بالروح: «لأَنَّ: "اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً"» (١بط ٥: ٥).

ولعل من أعظم الوسائط الروحية التي نثبت بها في النعمة، هو باتِّحادنا بالربِّ وتناولنا من الأسرار المقدَّسة، والتقدُّم لها على الدوام بتوبة واتضاع حقيقيَّيْن، وفي هذا يقول القديس مقاريوس الكبير: "فبهذا السرِّ تُحفَظون من الأعداء"[٣] . كذلك فنحن نقدر أن ننال هذه النعمة الداعمة لجهادنا الروحي بواسطة صلواتنا وتضرُّعاتنا وانسكابنا الدائم لطلبها؛ كما فعل التلاميذ في علِّية صهيون حتى نالوا الروح القدس يوم الخمسين.

معنى عدم مقاومة الشرِّ، والوداعة المطلوبة مِنَّا في جهادنا الروحي:

حينما انبرى بطرس الرسول ليُدافع عن سيِّده أمام الجُند وخُدَّام رؤساء الكهنة، استلَّ سيفه وضرب أُذُن عبد رئيس الكهنة فقطعها؛ وفي الحال نهاه الرب يسوع عن فعله هو وبقية التلاميذ، المُتحفِّزين لاستخدام أسلحتهم الأرضية في الدفاع عن سيِّدهم. فقام الربُّ أولًا بشفاء أُذُن عبد رئيس الكهنة، ثم قال لبطرس: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. **لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!**» (مت ٢٦: ٥٢).

فالرب يسوع بعمله هذا، يفتح أعيننا على فهم معنى الجهاد ضد الشر، وأن ذلك لا يتمُّ بأسلحة هذا الدهر وأدواته، وهذا ما يؤكِّده بولس الرسول حين يقول: «إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً» (٢كو ١٠: ٤)؛ ذلك لأن حربنا هي مع إبليس نفسه، عدوِّنا الحقيقي، وعلينا أن نواجهه بأسلحةٍ أخرى تُناسب حربنا معه، كما يقول الرسول بولس

---

(٣) انظر: "بستان الرهبان" – إعداد: الراهب إبيفانيوس المقاري (أنبا إبيفانيوس) – خطاب أنبا مقار الأخير، ص ٥٠، فقرة (٥٤) (س٢٩:٥ج).

أيضًا: «فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ ... مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ» (أف ٦: ١٢). لذلك حينما يقول الكتاب المقدس لنا: «لَا تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ»، وأيضًا: «لَا يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ **بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ**» (رو ١٢: ٢١)؛ فهو يُرشدنا ويُقدِّم لنا السلاح الروحي المُناسب لغلبة الشر . فيوصينا بالبركة مقابل الشتيمة، والصلاة مقابل الإيذاء، والمحبة مقابل الكراهية والبُغضة، وجميعها جهاد مسيحي حقيقي، وسلاح فعَّال ضد قوى الشر. وإن كانت تختلف تمامًا عن منهج العالم وسلوكياته وأسلحته في ردِّ الإساءة والحرب، بل وقد تقتضي الحكمة أحيانًا أن نهرب أو نتجنَّب أماكن التجربة أو المُصادمة أو الخطية من أجل أن ننجو بحياتنا. وقد قيل عن الربِّ يسوع إنه لمَّا شُتِمَ لم يكن يَشتِم عِوضًا، بل أعطى الحُكْم للحاكم العادل (انظر: ١بط ٢: ٣٢).

وحتى حينما يستلزم الأمر أو المسؤولية أن نقاوم الشر أو نراجع الخطأ ونُصَحِّحه، فلا بد أن يكون ذلك بروح الوداعة والمحبة والاتضاع، وليس بروح الانتقام والعنف؛ وذلك كما يذكر بولس الرسول لأهل تسالونيكي: «وَلكِنْ لَا تَحْسِبُوهُ كَعَدُوٍّ، بَلْ أَنْذِرُوهُ كَأَخٍ» (٢تس ٣: ١٥)، وكذلك نصيحة الرسول أيضًا لتيموثاوس: «لَا تَزْجُرْ شَيْخًا بَلْ عِظْهُ كَأَبٍ» (١تي ٥: ١).

إذن، حتى في حال مقاومتنا للشرِّ، بصورةٍ ملموسة (سلوك خارجي)، فنحن لا ننتهج منهج العالم في الحرب والصراع، بل نُجابهه بروح الوداعة واللطف، لكي نُصلِح وننقذ من يد إبليس كلَّ مَن اقتنصهم لنفسه، عالمين أنَّ عدوَّنا الحقيقي هو "إبليس"، وليس الإنسان الضعيف الذي نواجهه. وأننا بصبرنا ووداعتنا ومعونة إلهنا ونعمته، سنقدر أن نُطفئ سهامه المُلتهبة نارًا، ونُتمِّم جهادنا حسب القانون، فننال إكليلنا.

****

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القديس أنبا مقار**

من تعاليم
القديس أنبا مقار
والقديس يوحنا القصير

١٢٨ صفحة (من القَطْع المتوسط)

****